الباكستان

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دولة طاهرة نقية (١) أنقذها الله من براثن الرجس والوثنية، أولى الدول الإسلامية إذ أنها أكثرها سكانا وأوسعها مساحة وأملها أكثرها رقيا وتقدما

وخامسة دول العالم كله ؛ فترتيبها من حيث تعداد السكان كما يلي : الصين ، الهندستان ، الولايات المتحدة الأمريكية ، روسيا ، الباكستان

دولة الغد الأمول والأمل المشرق ، ولدت فكان ميلادها أمنا وسلاما لإخواننا المسلمين من أبناء القارة الهندية . دولة خلقت لتعيش وستعيش بإذن الله

تلك هي دولة الباكستان ، وقد كان من الطبيعي أن أبدأ بالكتابة عنها تحقيقا للرغبة الكريمة التي أبدتها الأديبة الفاضلة بهيجة المنشاوي والتي نشرت في العدد ٩٧٦ من مجلة الرسالة الغراء حاملة لواء الفكرة الإسلامية

وقد كان من جميل المصادفات أنني حين أردت الكتابة عن الباكستان تناولت كتابا (٢) من أحدث ما كتب عنها وكانت صيغة الإهداء فيه هي ما يلي :

إلى الفتاة العربية

التي ينتظر الغد منها أن تحمل النبعة في سبيل تنشئة جيل جديد قوي

يتذكر مجد الماضي فيمحو عار الحاضر ويحسن بناء المستقبل

فالمؤلف يهدي كتابه إلى الفتاة العربية وأنا أكتب تحقيقا لرغبة الأديبة الفاضلة ، وهدفنا جميعا إقامة كتلة إسلامية قوية ينعم أبناؤها في ظلها بالكرامة والحرية، وتكون الميزان العدل للسلام العالمي

الموقع :

الباكستان ثانية دولتين تقومان في شبه القارة الهندية التي تقع في جنوب آسيا وتطل على البحر العربي من الغرب وخليج البنغال من الشرق والمحيط الهندي من الجنوب ، وفي شمالها تقع جبال الهملايا والمرتفعات الوسطى بآسيا

وفي غرب الباكستان تقع أفغانستان وإيران . وتضم الباكستان الولايات الإسلامية من شبه القارة الهندية ولكنها لم تستطع أن تضم جميع مسلمي الهند إليها فما زال كثير منهم يقيم في أرض الهندستان . وتبلغ مساحتها ٣٦٠ مليون كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالي مائة مليون نسمة

وهي تنقسم إلى قسمين : الباكستان الشرقية وتتكون من إقليم البنغال الذي يتكون من المنطقة الواقعة عند مصب نهر الكنج

والباكستان الغربية وتتكون من حوض السند وبلوخستان

ويفصل بين القسمين مسافة لا تقل عن ألف ميل . وهناك منطقتان ما يزال النزاع قائما بين الباكستان والهندستان عليها : الأولى مقاطعة حيدرآباد ومساحتها حوالي ٨٢ مليون كيلو مترا مربعا وعدد سكانها ١٦ مليون نسمة ، والثانية مقاطعة جمو وكشمير

وسنتحدث عن مشكلة المقاطعتين بالتفصيل فيما بعد

قصة الباكستان

وأحب قبل أن أتحدث عن الباكستان من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية أن أحدث القراء عن قصة قيام الباكستان تلك الدولة التي نشأت منذ خمس سنوات فقط

دخلت بلاد السند وبلوخستان في دائرة العالم الإسلامي منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان . وفي أوائل القرن السابع عشر الميلادي كانت جميع بلاد الهند في يد المسلمين وكان يحكمها المغول

ولكن منذ عصر النهضة الحديثة وعصر الاستكشافات بدأت تنقاب الشعوب الأوربية حمى الاستعمار وبدأت إنجلترا تنسج شباكها حول الهند فأنشأت معها علاقات تجارية، ثم كان

---

١ : باك = طاهر ستان = أرض أو دولة

٢ : «باكستان دولة ستعيش» للدكتور عمر فروخ

من الطبيعي أن يقوم النزاع بين شركات التجارة وبين حكومة الهند وانتهى الأمر باستيلاء إنجلترا على الهند . وفي ١٧٦٣ طردت إنجلترا الفرنسيين من معظم المراكز التجارية التي كانت لهم بالهند وأصبحت الهند الدرة اليتيمة في التاج البريطاني . ومنذ ذلك التاريخ والسياسة الانجليزية تحرص تماما على سلامة الهند ، والمقصود بسلامة الهند معناه قطعا عدم خروج الهند من يد بريطانيا إلى يد دولة أخرى ، ومعناه أيضا الوقوف في وجه الهند ومنعها من تحقيق استقلالها . وأكثر من هذا لقد كان الحرص على سلامة الهند محور السياسة الانجليزية . استمع إلى قول وارن هستنجس حاكم الهند ١٨٠٠ « منذ نزول الفرنسيين بأرض مصر (١٧٩٨) لم يغمض لي جفن » ، وانظر إليه وهو يدفع حكومته دفعا حتى ترسل عدة حملات ١٨٠١ ساهمت في طرد الفرنسيين من أرض مصر وساعدت الأتراك والمصريين على إجلائهم عنها

لماذا كل هذا الاهتمام بالهند ؟ يرجع السر في ذلك إلى عاملين خطيرين : ١ : إن الهند مورد عظيم من موارد المواد الخام والمواد الغذائية اللازمة للشعب الانجليزي وللصناعة الانجليزية

٢ : إن الهند سوق كبيرة لتصريف المصنوعات الانجليزية . هذا من ناحية انجلترا ، أما من ناحية الهنود فقد حاولوا التخلص من نير الاستعمار الانجليزي وقامت ثورة كبيرة ١٨٥٨ ولكنها لم تنجح . وبرغم هذا فقد تكون حزب المؤتمر ١٨٨٥ وكان ينادي بأن تنال الهند استقلالا ذاتيا وتبقى ضمن دائرة مجموعة الشعوب البريطانية . وقد اشترك كثير من المسلمين البارزين في هذا الحزب الذي كان يرمي إلى تحرير الهند نوعا من الاستعباد البريطاني

ولكن المسلمين بدأوا يشعرون بأن انجلترا والهندوكيين يأتمرون بهم ويبيتون لهم الغدر والشر ، ولذلك قاموا في ١٩٠٦ بتأسيس الرابطة الإسلامية

ومضى الزمن والهنود يجاهدون في سبيل حريتهم ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فوقفوا مسلمين وهندوكيين بجانب بريطانيا وحلفائها حتى تحقق لهم النصر ، ومات كثير من أبناء الهند في ميادين القتال . وانتهت الحرب واعتقد الهنود أن حريتهم ستكون مكافأتهم على تضحياتهم ، ولكن انجلترا خيبت آمالهم ، واكتفت بالقيام ببعض إصلاحات لا قيمة لها

أدى موقف انجلترا هذا من قضية الهند إلى قيام الثورة الهندية المعروفة بحركة العصيان المدني والتي زعمها المهاتما غاندي سنة ١٩٢١ . وقد وقف المسلمون وكان يقودهم مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي بجانب غاندي ، وقاموا بنصيب موفور من الجهاد مما أغضب الانجليز فأخذوا يسلطون عليهم سياط التعذيب من قتل وسجن ، إلى سلب ونهب ، فامتلأت بهم السجون والمعتقلات ، وتحملوا في سبيل الكفاح الكثير من الخسائر . ومع هذا تحمل المسلمون صابرين ، وبدأ مركز انجلترا يتزعزع

لجأت انجلترا إلى سياستها التقليدية وهي إيقاع الفرقة في صفوف الأمة ، فبدأت تتقرب من الهندوس وتتآمر معهم ضد المسلمين ، وأخذ بعضهم يعلن ما يبيتوا على رؤوس الأشهاد . قال سافاركان أحد قادتهم : إن الهند لن تستطيع أن تكون بلدا موحداً ولا أمة موحدة ، إن فيها أمتين : الهندوس والمسلمين

وفي عام ١٩٢٥ نشر هار ديال أحد كبار الصحافيين مقالا جاء فيه : « إنني أعلن أن مستقبل الجنس الهندوكي في الهندستان والبنجاب (إسلامية) يجب أن يقوم على أربعة أسس : الوحدة الهندوكية ، الحكم الهندوكي ، تعبيس المسلمين ثم احتلال الأفغان ومناطق الحدود الجبلية ، وإلا كان مستقبل الأمة الهندوكية كلها في خطر »

وهكذا وضح للعيان أنه لا يمكن أن تقوم في الهند دولة موحدة ، والواقع أن الخلاف بين المسلمين والهندوكيين كان كبيراً جدا : إن المسلمين يعبدون الله ولا يشركون به ، وقد أحل لهم أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم وأن ينحروا البقر ، والبقرة حيوان مقدس لدى الهندوس بل هي إحدى معبوداتهم

من أجل هذا كنا نتوقع دائماً عند قدوم عيد الأضحى أن نسمع عن مذابح الهند ، فقد كان المسلمون ينحرون البقر وسرعان ما تقوم المعارك بينهم وبين الهندوس ويسقط فيها آلاف القتلى

ورب قائل يقول : لماذا عمد الهندوس إلى اقتراف تلك الجرائم

في عهد الاستعمار ؟ وأنا أذكره بأن المسلمين كانوا سادة الهند وحكامها قبل هذا العصر ، فمن الطبيعي أن تكفل لهم سيادتهم وأمنهم وسلامتهم أما وقد زال سلطانهم على يد الإنجليز وبدأت الهند تتحرر ، فقد أخذ الهندوكيون يتحريض إنجلترا يرتكبون تلك الفظائع ويعملون على (تجبيس المسلمين) أو إهلاكهم

وقد أدى كل ذلك إلى اعتقاد مسلمي الهند بأنه لا نجاة لهم إلا إذا قامت لهم دولة مستقلة ، وقد تزعم هذه الحركة المباركة القائد المخلص محمد علي جناح

وقد كان أول مؤتمر رسمي اشترك فيه المسلمون بصفتهم الرسمية هو مؤتمر المائدة المستديرة الذي انعقد في لندن ١٩٣٠

وفي ١٩٣٧ أعلن البانديت جواهر لال نهرو — رئيس وزراء الهند الحالي — أن هنالك من الهند حزبين : الحكومة الانجليزية وحزب المؤتمر . حينئذ اضطر محمد علي جناح أن يقول: بل إن ثمة حزباً ثالثاً هو الأمة الإسلامية

في هذا الوقت كان قيام دولة إسلامية مستقلة طيفاً يداعب خيال المسلمين ، ولكن الله جلت قدرته قد حقق هذا الحلم بأسرع مما كانوا يظنون

ففي ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية وتحرج مركز انجلترا وطلبت من الهنود الإخلاد إلى السكينة وترك قضية التقسيم جانباً حتى تنتهي الحرب ، ولكن القائد الأعظم محمد علي جناح قال : إننا نوافق على الهدنة في كفاحنا السياسي إذا رضيت بريطانيا بشرطين :

١ — أن تعلن الحكومة البريطانية إعلاناً صريحاً بأنها لا تنبي دستوراً لحكم الهند في زمن الحرب أو بعد الحرب من غير موافقة سابقة من جانب المسلمين

٢ — أن يكون للمسلمين نصيب مساو لنصيب غيرهم من السيادة وفي مراقبة أمور الحكومة المركزية والحكومات الإقليمية

وقد رضيت انجلترا بذلك ووافقت عليه وأعلنت في ١٩٤٠ أنها لن توجد في الهند شكلا من أشكال الحكم لا ترضى عنه عناصر كثيرة العدد قوية الأثر

قبل المسلمون هذا التصريح ولكن الهندوس رفضوه وقاموا بحركة عصيان ضد انجلترا ولكنها فشلت لعدم اشتراك المسلمين فيها

وفي ١٩٤٤ اجتمع غاندي بمحمد علي جناح في بمباي وحاول أن يتفق معه على عدم تقسيم الهند ، ولكن محمد علي جناح رفض رأي غاندي لأنه كان ضد رغبة المسلمين . وربما يبدو هذا الموقف غير سليم أمام من ينتصرون للقومية ، ولكن أمام هؤلاء أضع الحادث التالي على سبيل المثال : في عام ١٩٤٧ كان يسكن بلدة أمتسار خمسمائة ألف نسمة منهم مائتا ألف مسلم. وفي يومين اثنين قضى الهندوس على هذا العدد الضخم بالقتل والذبح والتشريد . كيف يمكن مع مثل هذا أن يطمئن المسلمون على أنفسهم ؟ إن السبيل الوحيد هو إقامة دولة إسلامية مستقلة

وانتهت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ وبدأت إنجلترا تعالج مشكلة الهند. وفي أوائل ١٩٤٦ أجريت الانتخابات في الهند وقد نجح أعضاء حزب الرابطة الإسلامية في إحراز المقاعد الثلاثين المخصصة للمسلمين في المجلس التشريعي المركزي ، وهؤلاء هم أنصار قضية الباكستان . وأصبح واضحاً تماماً أنه لا يمكن إغفال رغبات مائة مليون من السكان

واعتراقاً بالأمر الواقع قرر البرلمان البريطاني في ١٩٤٧ ما يأتي :

« ابتداء من الخامس عشر من أغسطس عام ١٩٤٧ يقوم في الهند حكومتان باسم الهند وباسم باكستان »

وهكذا تحقق حلم إخواننا المسلمين وقامت دولة الباكستان أكبر دولة إسلامية ، تلك الدولة التي خلقت لتعيش وستعيش بإذن الله .

باكستان زنده باد ! (١)

---

(١) تحيا الباكستان

لبحث صلة

أبو الفتوح عطيفة